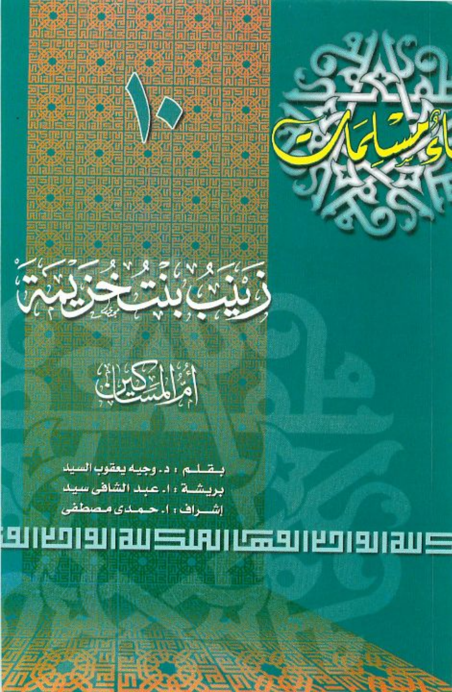


مسلمات
١٠
زينب بنت خزيمة
أم المساكين
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى

كانتْ زينبُ بنتُ خزيمةَ زوجةً للبطلِ الشهيد عبيدةَ بن الحارث بن عبد المطَّلب ، الذى لقى ربَّهُ شهيداً فى غزوة بدرٍ ، وكانَ عبيدةُ ابنَ عمِّ الرسول ﷺ .

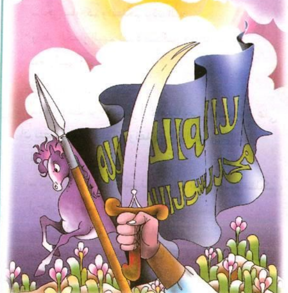
كانَ عبيدةُ بنُ الحارث هو صاحبُ أول راية عقدَها رسولُ اللَّه ﷺ ، حيثُ أرسلهُ قائداً على ثمانينَ رجلاً من المهاجرينَ ، فلقىَ جمعاً عظيماً منْ قريشٍ ، وعلى الرغم من أنهُ لم يحدثْ قتالٌ بينَ المسلمينَ والكفارِ ، فقدْ أحسَّ الكفارُ بالهيبةِ والخوف ، وأدْركُوا أنَّ حربهمْ معَ المسلمين قادمةٌ لا محالةَ .

ومرّتِ الأيامُ ، والْتقى الجمعانِ فى غزوةِ بدرٍ ، وأثبتَ عبيدةُ بنُ الحارث أنهُ بطلٌ فوقَ العادة ، لا يخافُ الموتَ لحظةً ، ولكنهُ يخافُ ألاَّ يكونَ هذا الموتُ فى سبيلِ اللَّه . .

فحينَ بدأت المعركةُ ، ظنَّ الكفارُ أنهمْ سيبيدونَ المسلمينَ عنْ بكرةِ أبيهمْ بسببِ قلَّةِ عددهمْ ، فراحُوا يقولونَ فى نشْوةٍ :

ـ اخرجُوا إلينا نبارزْكُمْ ، ألمْ تزعُمُوا أنهُ منْ يقتلُ منكمْ يدخلِ الجنةَ ؟ فواللهِ إنَّا نودُّ أنْ نُلحقكُمْ بهاَ .

ووقفَ الوليدُ بنُ عتبَةَ ، وعتبةُ بنُ ربيعةَ ، وشيبةُ



ابْنُ ربيعةَ فى مكان مميَّز ، ووراحُوا يشْهرونَ سيوفَهُمْ فى وجهِ المسلمينَ ويطلبونَ المبارزةَ فى تحدٍّ سافر ، فتقدَّمَ منهم معوذُ وعوفُ ابنا عفْراءَ ، وكانا غلامَيْنِ صغيرَيْنِ وقالاَ فى ثبات :

ـ نحنُ نبارزكمْ ونقتلكمْ بإذن الله .

ونظرَ الكفارُ إليهمْ نظرةَ استكبارٍ وسألوهمْ :

ـ من أنتمْ ؟

فقالوا :

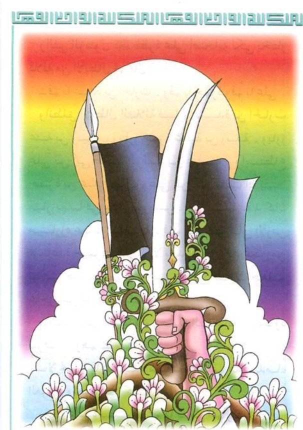
ـ نحنُ رهطٌ منَ الأنصار ، عاهدنَا رسولَ اللَّه ﷺ على أنْ ننصُرَهُ على أعدائه ونَفْدِيَهُ بأرْواحنا وأموالنا .

فقالَ المشركونَ :

ـ نحنُ لا نريدُ أنْ تعيِّرَنا العربُ بقتْلِ فتيةٍ مثلكُمْ ، ارجعُوا وأرسلوا إلينَا منْ هوَ كفْءٌ لنا .

وصاحَ الوليدُ بن عتبةَ قائلاً :

ـ يا محمدُ ، أَخْرِجْ إلينَا أكفاءَنا من قومِنا ، وسترَى لمنْ تكونُ الغلبةُ !



وألقى الرسولُ ﷺ نظرةً على أصحابه لكي يختارَ ثلاثةً من الأبطال ثم قالَ :

ـ قمْ يا عُبيدةَ بنَ الحارث ، وقمْ يا حمزةُ وقمْ يا عليُّ .

وانطلقَ الأبطالُ الثلاثةُ فبارزَ عُبيدةُ بنُ الحارث عتبةَ بنَ ربيعة ، وبارزَ حمزةُ شيبةَ بنَ ربيعةَ ، وبارزَ عليُّ بنُ أبي طالب الوليدَ بنَ عُتبةَ ، واستطاع حمزةُ بنُ عبد المطلب وعليُّ بنُ أبي طالب أنْ يقتُلا مبارزيْهما في سهولةٍ ويُسْر ، أما عبيدةُ فقدْ كان مبارزُهُ عنيداً للغاية ، فلمْ يسقُطْ على الأرض بمساعدة حمزةَ وعليّ ، إلاَّ بعدَ أن كانَ قدْ تمكنَ من توجيه ضربة قوية إلى عبيدةَ ابنِ الحارثِ جعلتْهُ عاجزاً عن مواصلة القتال .

واشتدَّ الألمُ بعبيدةَ ، وحملهُ الصحابةُ ، ودماؤهُ تنزفُ .. وهم يقولونَ لهُ :

ـ لا تجزعْ يا عبيدةُ سوفَ تتوقَّفُ هذه الدماءُ الغزيرةُ وتعودُ كما كنتَ .

وكانَ عبيدةُ يبتسمُ برغمِ ما بهِ من ألمٍ ويقولُ :

ـ والله ما بى جزعٌ ، ولكنى أخشَى ألا أكونَ فى عداد الشهداء .

ودَمعتْ عيناهُ فجأةً فسألهُ أصحابُهُ :

ـ ما يبكيكَ يا عبيدةُ ، وقدْ وعدنَا الله إحدَى الحسنيينِ : فإمَّا النصرُ وإمَّا الشهادةُ ؟

فقالَ عبيدةُ :

ـ تذكّرتُ زوجتى زينبَ بنتَ خزيمةَ وما يصيبُها بعدَ موتى ، فبكيتُ لأجْلها ، فهى امرأةٌ ضعيفةٌ ، وقدْ أقعدَها المرضُ .

فقالَ له الصحابةُ :

ـ هوّنْ على نفسكَ يا عبيدةُ ، فإنَّ الله تعالى قدْ غرسَ الرحمةَ فى نفوسِ المسلمينَ ، فلا يضيعُ بينهم ضعيفٌ أبدًا .

وتوقفَ عبيدةُ عنْ بكائه ثم قالَ لأصحابه :

ـ احْملونى إلى رسول الله ﷺ ، لأُلْقى عليه نظرةَ الوداعِ الأخيرة ، وأسألهُ أنْ يدعوَ لى بالمغفرة .

وحملهُ الصحابةُ ، وجاءُوا به رسول الله ﷺ ، وما إنْ رأى رسـولَ الله ﷺ ، حتَّى تناسَى كلَّ آلامـه ، وأنزل اللهُ عليه الصبرَ والسكينة .

كـانَ كلُّ مـا يشـغَلُ بالَ عـبيـدة بن الحارث هو أنْ يطمئنَّ على زوجتـه ، وأنْ يتأكـدَ أنهُ ماتَ شهـيدًا ، فسألَ رسولَ الله ﷺ :

ـ يا رسولَ اللّه ، هل أنا شهيدٌ ؟

فقال له النبيُّ ﷺ :

ـ أشهدُ أنَّكَ شهيدٌ .

ونظرَ البطلُ إلى رسـول اللّه ﷺ نظرةً أخيـرةً ، ونطقَ بالشهادتَيْن ، ثم سكنتْ نفسُهُ بعدَ أن صعدَتْ روحُهُ الطاهرَةُ إلى بارِئها .

وعـاشتْ زينبُ بنتُ خـزيمةَ أرملةَ هذا الشـهـيـد وحيـدةً يملأُ قلبَـهـا الحـزنُ ويعـتـصـرُهَا الألَمْ ، ولم يخـفِّفْ عنهـا سـؤالُ بعضِ المسلمـات عنْ أحـوالهـا ومساعـدتُهنَّ لها فى قـضـاء حوائجهَـا ، فإنهُ بمرور الوقت انشغَلَ كلُّ إنسانٍ بنفسـه ، وأصبحتْ زيارةُ الناس لها قليلةً ، فكادت الوَحْدَةُ تقتُلُهَا .

وإذَا كانَ الناسُ بـسببِ مَشاغلهم ينسى بعضُهمْ بعضًا ، فإنَّ اللّهَ (تعالى) لا ينسى أحدًا منْ خَلقه ، خاصةً إذَا كانَ فى منزلَة زينبَ بنت خزيمَةَ ، حيْثُ ضربتْ أروعَ مثلٍ فى الصبْرِ والتحمُّلِ ، كما كانتْ جـوادةً كـريمةً تنفقُ على الفـقـراء والمسـاكين ، حتَّى أطلَقَ عليها الناسُ لقبَ «أمِّ المساكين» .

وأمـرَ اللّهُ رسـولـه ﷺ أنْ يضمَّ هذه المرأةَ المؤمنةَ الصابرةَ إلى نسائه ، تكريمًا لها ومكافأةً على صبرِهَا وطيـبـة قلْبِـهـا ، وبسـبـب حبِّـهـا للّه ورسولِه وحبِّـهـا للمساكين .

ولم تصدِّقْ زينبُ بنتُ خزيمةَ نفْسَهَا ، حينَ علمتْ

بهذا الخبرِ ، فقدْ خرجتْ منَ الوحدة والوحشة ، إلى رحاب واسعة ، وصارتْ زوجةً للرسول ﷺ ، وأصبحتْ أمًّا للمسلمينَ .

وعلى الرغم منْ أنَّ السيدةَ زينبَ بنتَ خزيمةَ لمْ تكنْ ذاتَ جمالٍ ، فإنَّ الرسولَ ﷺ ضمَّها إلى نسائه ، ورفعَ بذلكَ مكانتَها ومنزلتَها ، وهذا دليلٌ علَى



عظمة هذا الرسول ﷺ وإنسانيته ، حيث كان الدافعُ لهُ فى الزواج من زينب بنت خزيمة ، هو الشفقةُ عليها ، والخوف عليها من الضياع ، ورفعُ مكانتها بعد أنْ ضربت المثل فى الصبر والوفاء ، ومنْ قبْلها ضرب زوجُها أروعَ مثلٍ فى البطولة والفداء .

وكانَ زواجُ الرسول ﷺ منْها فى السنة الرابعة للهجْرة ، بعد زواجه ﷺ منْ حفصة بنتِ عمر بن الخطاب رضى اللَّهُ عنهمْ .

وتحدّثَ الناسُ بإعجابٍ عنْ رسول اللَّه ﷺ وعنْ زواجه من السيدة زينب بنت خزيمة ، ووجدُوا فيه دليلاً على شفقة الرسول ﷺ ورحمته .

وفى كتابات المستشرقين عن الرسول ﷺ ، إشارةٌ إلَى أنَّ هذا الزواجَ الإنسانىَّ تم بدافع الشفقة .

قالَ «بودلى» فى كتابه «الرسول» :

« تبعَ زواجَ محمد ﷺ منْ حفصة زواجٌ آخرُ ، وكانَ زواجًا شكليًا أكثرَ منْ أىِّ شىءٍ آخرَ . كانت العروس

أرملةَ عبيدةَ بنِ الحارثِ ، ابنِ عمِّ محمدٍ ﷺ ،
استُشهدَ فى بدرٍ . وكانَ اسمُها زينبَ بنتَ خزيمةَ ،
وما ضمَّها محمدٌ ﷺ إلى نسائه إلا بدافعِ الشفقةِ »
ولمْ يطلِ المقامُ بزينبَ بنتِ خزيمةَ فى بيتِ الرسولِ
ﷺ ، فبعْدَ بضعةِ أشهرٍ ، انتقلتِ السيدةُ زينبُ بنتُ
خزيمةَ إلى جوارِ ربِّها ، وكانَ عُمْرُها ثلاثينَ عامًا .

وعلى الرغمِ من قِصَرِ المدة التي قضتْهَا في بيت النبوَّة ، فقدْ تركتْ أثرًا طيبًا عندَ عامة المسلمين ، فلا يذكرهَا أحدٌ إلاَّ بكلِّ خيرٍ ، وأجمعتْ كُتُبُ السيرة على أنَّها كانتْ كثيرةَ الصيامِ كثيرةَ القيامِ .

ففي سيرة ابن هشام :

« وكانتْ زينبُ بنتُ خُزيمةَ تُسمَّى أمَّ المساكين لرحمتِهَا إياهمْ ورقَّتها عليهم » .

وعن الزهريِّ :

« تزوَّجَ النبيُّ ﷺ زينبَ بنتَ خزيمةَ ، وهي أمُّ المساكين ، سمِّيتْ بذلكَ لكثرة إطعامها المساكينَ .

فقدْ أجمعَ الرُّواةُ على وصفِهَا بالطيبةِ والكرمِ والعطف على الفقراء .

ولم تكنْ زينبُ بنتُ خزيمةَ ذاتَ جمالٍ وبهاءٍ ، وإنَّما كانَ يكفيهَا أنهَا مؤمنةٌ صادقةٌ في إيمانهَا ، صوَّامةٌ قوَّامةٌ ، تنفقُ بالليل والنهار وتتصدَّقُ على الفقراء والمساكين والمحتاجين ، أنعمَ اللهُ عليهَا بالفضلِ بالزواجِ منْ نبيِّ الله ﷺ ، وصارتْ أمًّا

للمسلمين ، وفي هذا ما يؤكِّدُ على عظمةِ أخلاقِ النبيِّ ﷺ .

لقدْ كانَ الرسولُ ﷺ مثالاً لعظمةِ الأخلاقِ ومثالاً للرحمةِ والشفقةِ ، قالَ عنه (تعالَى) :

﴿ وإنَّكَ لعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤]

وقالَ عنهُ :

﴿ لقدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ

مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء

مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .

[التوبة : ١٢٨]

ولذلكَ فقدْ كانتْ أخلاقُهُ ﷺ عظيمةً ، ومواقفُهُ نبيلةً ، ورحمتُهُ بالمسلمين وبالناس جميعًا واسعةً لا حدَّ لهَا ، ويكفِي أنْ نتأملَ في زواجِهِ من زينبَ بنت خزيمة وسودة بنت زمعة وحفصة بنت عمر رضي الله عنهن ، لنعلمَ أنهُ ﷺ كانَ لا يسعَى إلى حاجةٍ معيَّنةٍ ، بقدْرِ ما كانَ يحرصُ على الالتزامِ بوحْيِ اللَّه ، وتأليفِ قلوبِ أعْدائه ، ورفعِ مكانةِ هؤلاءِ إلى مرتبةِ أمَّهاتِ المؤمنينَ ، نظرًا لما قُمْنَ به من تضحياتٍ وأعمالٍ عظيمةٍ في سبيلِ اللَّه ورسوله .

رحمَ اللَّهُ زينبَ بنتَ خزيمةَ التي مرَّتْ في حياةِ النبيِّ ﷺ مرورًا سريعًا ، وإنْ كانَ التاريخُ قدْ خلَّدَ ذكرهَا فهيَ « أمُّ المؤمنينَ » ، وأطلقَ عليهَا الناسُ لقبَ « أمِّ المساكينِ » .

(تمَّتْ)

الكتاب القادم

أم سلمة (١) (بنت زاد الركب)

رقم الإيداع : ٢٠٠١/٣٦٤٠

الترقيم الدولي : ٨ ـ ٥٧٧ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧